الثواب والعقاب
« وأثرهما في التربية »

تنبنى القيمة التربوية « للجزاء » بشقيه : الثواب والعقاب على أساس إثابة المحسن على أفعاله الطيبة وسلوكه المحمود ، ومعاقبة المسيء على أفعاله السيئة وسلوكه المرذول ، مع مراعاة ألاّ يكال الثواب او العقاب بغير حقّ ، وأن يكونا في مستوى الاحسان والاساءة ، حتى يحققا الهدف المنشود منهما ، وهو تشجيع المحسن على المزيد من الاحسان ، وإرجاع المسيء عن الانسياق في الاساءة .

ان الجزاء ثواباً كان أو عقاباً لا بد أن يوقع بعدل ونزاهة ، فلا يستفيد منه محسن ، أو يتضرر مسيء ، بغير وجه حق ، فهذا من شأنه ان يدفع الأول الى التحايل او التملق ، ويدفع الثاني الى الانطواء أو التمرد ، فيقع المربي ، في خاتمة المطاف ، في نتائج تربوية سيئة قد تصعب معالجتها ودرء مخاطرها ، لأنه يربي كائناً بشرياً قادراً على تلوين سلوكه وتصرفاته ومواقفه الخارجية ، قد يظهر خلاف ما يبطن ، فيبدي الطاعة بينما هو يضمر التمرد ، ويبدي الانقياد بينما يخفي العصيان ، وهو ما قد ينفجر مرة واحدة وفجأة ، عندما تتهيأ له الظروف الملائمة ، وخاصة عندما يكبر وينضج ويشعر بالنزعة الاستقلالية عن الآباء والمربين .

ومن هذا المنطلق فان من واجب الآباء والمربين مراعاة عدم الافراط او التفريط في كل من الثواب والعقاب لما في مجانبة الحكمة في إكالتهما من نتائج وخيمة تنعكس في تشكيل شخصية الناشيء وتطبعها بسمة الضعف

والانطوائية ، أو بسمة التمرد والعصيان ، وهما أمران غير مرغوب فيهما في تكوين « الفرد » الذي تستهدف التربية الصحيحة جعله عضواً صالحاً في الجماعة ، قادراً على الاعتماد على نفسه ، وشق طريقه في الحياة بثقة وصلابة ومواجهة ما يعترض سبيله من مشاكل وعقبات والتغلب عليها ، أو حسن التكيف معها بما يجنبه الاضطراب والصراع النفسي ، ويجعله سعيداً في حياته .

ولمزيد من الايضاح ، نناقش في ما يلي ، شقي الجزاء : الثواب والعقاب ، كُلاً على حدة .

أولا ـ الثواب :

للثواب أثر كبير في تربية الناشئين ، بل وفي تحفيز الراشدين أيضا .

وقيمة الثواب التربوية تتمثل في كونه يحفز الناشىء ويشجعه على معاودة « الأفعال » التي يثاب عليها ، ويجعل السرور والابتهاج الذي يحصل في نفسية المثاب دافعاً له على تكرار النتائج المحمودة التي حققها في مختلف أوجه نشاطه .

وهذا ما أكده علماء النفس التربوي الذين يرون انه لكي يتم ثبات وتحسين استجابات الفرد :

« لا بد من توفر عامل الجزاء Reward فالاستجابات اذا لم تؤد الى نوع من الترضية او الجزاء أو الاشباع فإن الفرد لا يحاول تكرارها »[1]

وبذلك فإن أسلوب الثواب يحقق نتائج تربوية ايجابية أفضل من تلك التي يحققها أسلوب العقاب .

وقد أثبتت التجارب « أن العقاب والثواب لا يتساويان في أثرهما ، فأثر الثواب عادة أقوى من أثر العقاب »[2]

---

(1) د. مصطفى فهمي / الانسان وصحته النفسية ص /239

(2) د. سعيد جلال / المرجع في علم النفس / ص 570.

ومرد ذلك الى أن آثار الثواب دائما سارة ، أما آثار العقاب فهي مؤلمة .

ويفضل استعمال « الثواب » كوسيلة جيدة في التعليم والتربية على العقاب لأسباب هامة نذكر منها :

1— يدفع « الثواب » الفرد الى اعادة وتكرار النجاح في أعماله ونشاطه ، وذلك لأثر النتيجة الحسنة في نفسه ، وسروره بها وقد قيل : لا شيء يدفع للنجاح كالنجاح !

2— في الوقت الذي يحفز فيه الثواب الفرد على مداومة الأعمال والأنشطة التي أثيب على نجاحه فيها ، فالعقاب لا يمنعه من الوقوع مرة اخرى في الخطأ الذي عوقب عليه ، بل قد يثبت لديه الزلات والعيوب .

فقد أثبت بعض تجارب العيادات السيكولوجية (النفسية) ان عقاب الطفل على بعض الحركات العصبية كقضم الأظافر او فرقعة الأصابع ، او دعك الأنف ، قد يؤدي الى تثبيتها بدلا من إزالتها .

3— الثواب عادة ما يكون أوضح لدى الفرد من العقاب ، فالطفل الذي يردع من أجل خطأ ما دون ان يوضح له ، أو يرشد الى ما يجب عليه فعله حتى يتلافاه ، قد يكرر ثانية نفس الخطأ ، ويقوده عقابه عليه من جديد الى الاضطراب والصراع النفسي .

4— يدوم أثر الثواب أكثر مما يدوم أثر العقاب ، فالمرء ميال الى استعادة الذكريات السارة واللحظات السعيدة ، بينما يكره تذكر الآلام ولحظات الشقاء ويكبتها في اللاشعور .

5— يدفع الثواب الطفل الى محبة الشخص الذي أثابه ، والداً كان أم معلماً أم رائداً ، وحسن بناء العلاقة معه واحترامه وحب « النشاط » أو العمل الذي يكلفه به ، بينما قد يكره الطفل الشخص الذي أوقع عليه العقوبة ، وكل ما يمت له بصلة من نشاط أو عمل . فقد يكره تلميذ ما مادة ما لكراهيته لمدرسه الذي عاقبه بضرب أو بطرد أو توبيخ مقذع أمام

زملائه .

وبناء على ما تقدم فان « الثواب » من أفضل الوسائل التربوية في إشباع حاجة الناشىء الى الحب والتقدير والثناء والقبول الاجتماعي ، ودفعه وتشجيعه بالتالي على معاودة الاحسان في الانشطة والأعمال التي يحقق له النجاح فيها ما يحتاج اليه من إشباع لحاجاته النفسية . وهو ما نادى به كثير من علماء النفس والتربية والاجتماع ، وفي مقدمتهم الامام الغزالي بقوله :

« ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود ، فينبغي ان يكرم عليه ، ويجازى بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس . »[1]

على أنه لا بد من التذكير بمراعاة عدم منح الثواب بغير وجه حق ومراعاة . عدم الزيادة والاسراف فيه ، حتى لا يؤدي الى نتائج تربوية وخيمة .

ويجب على الآباء والمربين ان يراعوا في استعمال أسلوب الثواب بعناصره المختلفة ، معنوية كانت أم مادية ، عدة نقاط هامة نذكر منها :

1— عدم الاسراف في استعمال عبارات المدح والاطراء والثناء والاستحسان حتى لا تفقد قيمتها التربوية ، أو تأثيرها الفعال ، او تقود الى الغرور والمباهاة الكاذبة بين الناشئين .

2— مراعاة ألّا يكون الثواب نوعا من الرشوة ، المعنوية او المادية ، حتى لا تدفع الطفل الى السلوك الابتزازي او الانتهازي او النفعي ، الذي يجعله لا يقوم بالعمل لذاته ، ولكن للفائدة التي تعود نيلها على أدائه ، وهو ما قد يفرغ أعمال الطفل وسلوكه من مضمونها الروحي والأخلاقي . واذا ما قلت اثابته او انقطع تكريمه عليها ، تقاعس عن أدائها مع أنها قد تكون من أخص واجباته والتزاماته .

---

(1) الغزالي / احياء علوم الدين / مجلد 2/جزء 8/ص ص 1469